# احتياج

أصبَحَتْ محترفة فنون إيقاع الرجال، تعلمت كيف ومتى وأين تستخدم أسلحتها الفتاكة في القنص والانقضاض على فريستها، نظرتها الجريئة والخجلى في آن واحد، مشيتها المختالة الواثقة بنفس الوقت، صوتها الرقيق المتغنج ناعم النبرة، جسدها المحتشم والمثير معاً، تعلمت الدمج بين الشيء ونقيضه، متى تتكلم ومتى تصمت، متى تقترب ومتى تبتعد، متى وكيف تنظر ثم متى وكيف تتجاهل، انتزعت من داخلها تلك الطفلة البريئة وتقمصت دور المرأة كاملة النضج والأنوثة، خلعت تاج العفة ولبست قناع الغواء.

لم يحدث هذا كله بين ليلة وضحاها بل هو نتاج ليالِ طوال قاست فيها آلام الوحدة والحرمان والاحتياج، كانت متزوجة وعزباء، تركها زوجها بعد عامٍ واحد من الزواج ليعمل في إحدى الدول الأوربية، لم تكن راغبة في سفره وابتعاده عنها، ترجته كثيراً للعدول عن قراره، ناقشته، عنفته ، لكن دون فائدة، كانت حجته أنه كره البلد وقلة مواردها، وأنه راحل ليعيش بكرامة في بلد آخر، ثم أنهى مناقشتهما العقيمة بوعد لم يوفه بعد، بأنه سوف

يعود بعد عام أو عامين على الأكثر بعد أن يجمع قدراً مناسباً من المال ليوفر لهما العيش المرفه الذي طالما حلمَ به، لم تقتنع بحجته لكنها صمتت في يأس، فقد اتخذ قراره وحزم أمتعته وطار من عشهما الصغير راداً خلفه الباب، تاركاً إياها وحيدة بين أربع جدران موحشة وليالٍ شتوية باردة، ولهيب أنثوي لا يمكن لتلك الأموال القادمة من البلاد البعيدة أن تطفئه، بكت كثيراً عندما هاتفها للمرة الأولى بعد سفره، لكنه لم يسمع بكاها، صم أذنيه وقلبه عن صرخات أنوثتها الثائرة، جاءت كلماته على مسامعها أبرد من ليالي شتائها القارص البرودة، ثم جاءت المكالمات التالية فاترة من نوعية أفتقدك، كيف حالك، تحملي، إلى اللقاء.

جلست تتأمل حياتها وما آلت إليه، تساءلت أين رحل الزوج والحبيب؟ ولماذا؟ أمن أجل حفنة دولارات؟ يتركني هنا وحيدة؟

لطالما أحبته واشتهته كما تشتهي الزهور قطرات المطر، وحده من بيده إطفاء تلك الشهوة - أو هكذا ظنت – إن ما حدث منه أكد لها أنها كانت واهمة، لم يكن يحبها، كان يحب نفسه، لم يكن يشتهيها كان يشتهي المال والغنى، بل لم يكن يراها، لم يكن يرى سوى أحلامه الجامحة، ثم ماذا؟ عادت بخُفي حُنين، عادت وكل مشاعرها قد تبدلت، لحظات النشوى

الزوجية التي منت نفسها بها قبل زواجها و التي عاشتها معه عاماً واحداً منه تحطمت على صخرة الصد واللامبالاة .

بعد معاناة كبيرة وصراع داخلي بين احتياجها وصبرها وعقلها وقلبها وضميرها قررت الثأر لجرح كبريائها الأنثوي على طريقتها الخاصة، جعلت جسدها ماءً لكل عابر سبيل، كانت كلما ألقت بجسدها في حضن رجل غيره شعرت بلذة الانتقام ونشوة الانتصار، صارت امرأة أخرى غير تلك المرأة القديمة، لم تعد تنتظر الغائب ولا تستجدي الحب من رجل جعلها تكره كل الرجال ووجدت أن إيقاعهم جميعاً في حبائلها هو أعظم انتقام .

مر عام واثنان وثلاثة والزوج الغائب لا يعود ، مازال منشغلاً بتعبئة حقائبه بالعملات الأجنبية، وبينما يزداد عدد الأصفار لأمواله في البنوك الأوربية يقل رصيده في قلب زوجته الغارقة في بحر اللذة.

أخيراً وبعد مرور أربعة أعوام من الغياب قرر العودة، ارتبكت زوجته حين علمت منه أنه حجز تذكرة الطيران وأنه سيصل خلال يومين، لم يبدُ على صوتها اللهفة لسماعها الخبر ولا على ملامحها البهجة حين عاد، شعر بالتغيير الحاصل لزوجته لكنه لم يجرؤ على سؤالها ظاناً أنها لازالت غاضبة لغيابه كل تلك السنين، أو أنها اعتادت على الوحدة وأنها تحتاج إلى بعض الوقت لتتعود عليه مرة أخرى .

بدأ يخرج لها من حقائبه المتخمة بالهدايا كل ماتشتهي الأعين والأنفس من ملابس وعطور ومساحيق تجميل، تلقتها كلها بابتسامة باردة تسائل إثرها إن كانت الهدايا لا تعجبها أم أنها فقدت الاقتناء فقط، اكتشف أنها فقدت الشهية لكل شيء ليس فقط للاقتناء؛ حين اقترب منها في فراش الزوجية صدمته برودتها الغير معهودة، ساورته الشكوك وبدأ في طرح أسئلته التي تملأ رأسه منذ عودته، ماذا بكِ؟ لماذا تغيرتِ؟ هل لم تعدي تحبينني؟ أم أن ما يحدث منكِ هو حالة عابرة ستمر بعد أيام وتعود المياه إلى مجاريها؟

كانت صدمته الأكبر حين طلبت منه الطلاق!

- الطلاق؟ ماذا تقولين؟ أجننتي؟
- لا يازوجي العزيز بل كبرت
- ماذا تقصدين؟
- أقصد أنني لم أعد تلك الزوجة الصغيرة الراضية المطيعة الوفية، تركتني في أكثر أوقات احتياجي لوجودك بحياتي، تركتني للوحدة تفترسني والشوق يمزق أحشائي تمزيقاً، قتلت حبي لك بغيابك القاسي، سافرتَ لجلب الأموال لتشتري بها ما حُرمتَ منه وحرمتني

أنا من أبسط حقوقي كزوجة لا يمكن شراء قلبها الذي لم يعد لك مكان فيه.

- ألم أسافر من أجلنا؟ ألم أتحمل الغربة والعمل الشاق كي أوفر لكِ حياةً كريمة؟
- لم أطلب منك ذلك، كل ما كنت أطلبه هو بقاؤك معي، تدفيء فراشي البارد، تدفئني أنا وروحي بأنفاسك، أنت لا تدري كم عانيتُ في غيابك.
- وها أنا عدت إليكِ
- فات الأوان، لم أعد أنا كما أنا، ولا رغبتي بك كماهي.
- إني أحبِك
- وأنا لم أعد أحبَك
- لن أطلقكِ
- سأخلعكَ
- ماذا؟ أإلى هذا الحد أصبحتِ لا تطيقين العيش معي؟
- إلى هذا الحد ماتت مشاعري، بل مِتُ أنا.!